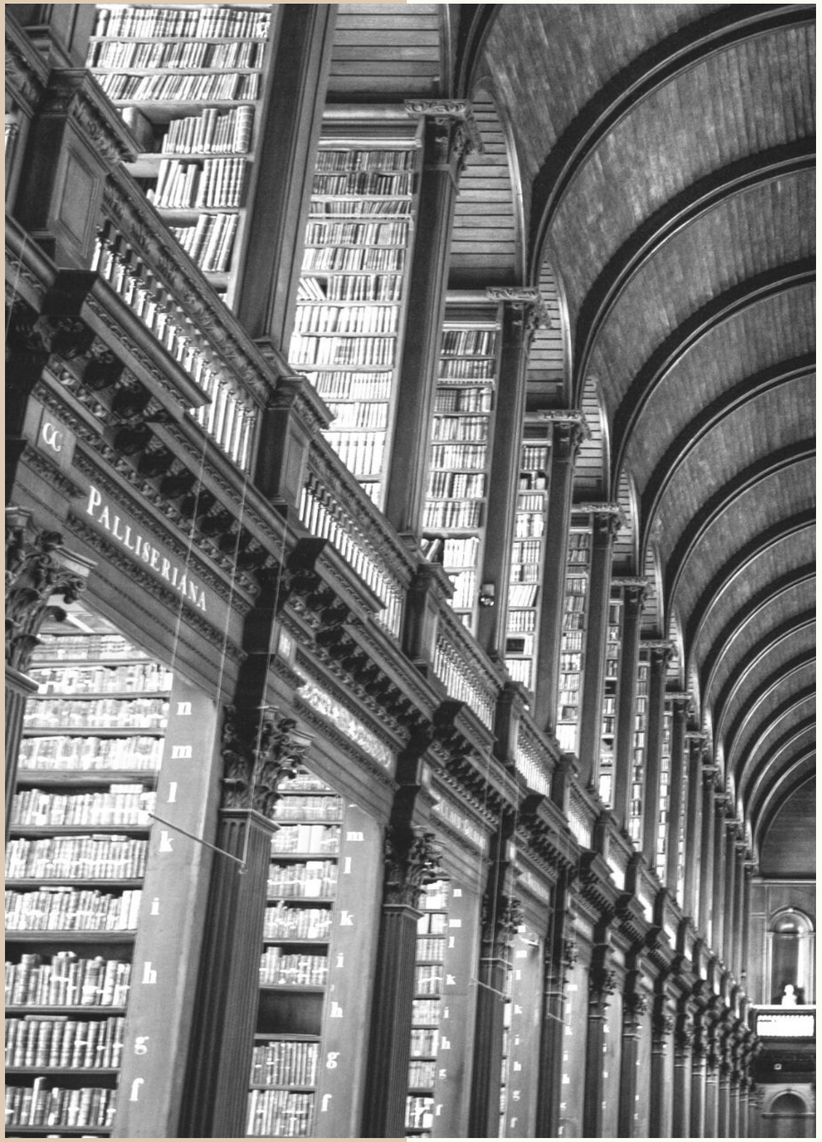

الحكم العثماني في الجزائر

Dr.Taibi Amel

“

يقول المؤرخ ان التاريخ جنة و الجزاءريين هم جهنم

A

من هم ال عثمان ؟

يرجع نسب العثمانيين إلى قبيلة تركمانية كانت في بداية القرن السابع الهريّ تعيش في كردستان وتحترف الرعيّ، وقد هاجر سليمان جدّ عثمان بن أرطغرل في عام 617 هـ مع قبيلته من كردستان إلى بلاد الأناضول ليستقرّ في مدينة أخلاط؛ وذلك بسبب الغزو المغوليّ على العراق ومناطق شرق آسيا الصغرى.:

أ استوطنت عشائر الغز المعروفة بالترك أو الأتراك منطقة ما وراء النهر التي تسمّى اليوم تركستان؛ وهي تمتدّ من هضبة منغوليا وشمال الصين شرقاً وصولاً إلى بحر قزوين غرباً، ومن السهول السيبيرية شمالاً وصولاً إلى شبه القارّة الهندية وفارس جنوباً. انتقلت قبائل الغز في النصف الثاني من القرن السادس الميلاديّ من موطنها الأصليّ إلى آسيا الصغرى عبر هجرات كبيرة جداً، وذلك لأسباب كثيرة منها: العوامل الاقتصادية والمعاناة بسبب الفقر، والعوامل السياسيّة المتمثّلة في تعرّضهم لقبائل مغوليّة أكثر منهم عدداً وقوّة؛ وقد أجبرتهم تلك القبائل على الرحيل بحثاً عن الأمان

اسباب وجود العثمانيين في الجزائر

دخل العثمانيون إلى الجزائر سنة 1516 كقوة حامية، استنجد بها الجزائريون لمواجهة التحرشات الإسبانية.استجاب العثمانيون لطلب النجدة الجزائري ونجحوا في طرد الإسبان، لكنهم (العثمانيون) لم يغادروا البلد وبقوا فيه إلى غاية سنة 1830، أي أنهم مكثوا ثلاثة قرون وعشرين سنة.فيا ترى، لماذا بقوا كل هذه الفترة، رغم أنهم جاؤوا للحماية فقط؟ وهل تحوّل وجودهم من قوة حماية ونجدة إلى احتلال للبلاد؟هذا الجدل لا يزال مستمرا إلى اليوم بين المهتمين بالشأن التاريخي في الجزائري.النجدة وقتل سلطان الجزائريعود سبب الوجود العثماني في الجزائر إلى الخطر الإسباني، إذ كان الإسبان يريدون القضاء على المسلمين الفارين من غرناطة بهم".

حتى لا يعودوا مرة ثانية إلى هناك.وهو ما يذكره الباحث الجزائري محمد بن مبارك الميلي في كتابه ، "تاريخ الجزائر القديم والحديث"، في جزئه الثالث المخصص للفترة العثمانية، حيث كتب "كانت محاولات وغزوات الإسبان ضد الجزائر، من بين الأسباب المباشرة التي مهدت لاستقرار الحكم التركي بالجزائر".استنجد سلطان الجزائر وقتها، وهو سالم التومي، بالعثمانيين فأرسلوا له القائدين البحريين المشهورين، الأخوين خير الدين وعروج بربروس، لطرد الإسبان.رسم للأخوين بربروس (عروج وخير الدين)رسم للأخوين بربروس (عروج وخير الدين)ويذكر محمد الميلي، هذه الحادثة قائلا "عندما دخل عروج إلى الجزائر استقبله الشيخ سالم التومي وسكان المدينة استقبال الفاتحين، وسارع عروج بنصب عدد من المدافع تجاه جزيرة صغيرة يسيطر عليها الإسبان، وبعث إلى قائد الحامية الإسبانية يأمره بالاستسلام، لكن القائد الإسباني رفض، فأطلق عروج نيران مدفعيته على المعقل الإسباني، إلا أن ضعف مدفعيته لم تمكنه من تحقيق الانتصار المنتظر".ويضيف الميلي "سقطت هيبة الأتراك في أعين سكان الجزائر، يضاف إلى ذلك أن سكان ميناء الجزائر بدأوا يتضجرون من تصرفات الأتراك الذين كانوا يعاملون الجزائريين معاملة فظة، وبدأت تظهر بوادر التمرد.. إلا أن عروج ذهب بنفسه إلى منزل السلطان سالم التومي وقتله بيده في الحمام حيث وجده، بل كان مرحبا

وخرج على جنده وأعلن نفسه سلطانا على الجزائر".والأمر نفسه حدث في مدينة تلمسان، فعندما أنقذ عروج المدينة من الإسبان فرحوا به لكنهم فضّلوا أن ينصّبوا أبا زيّان- وهو جزائري- حاكما عليهم، فقتله عروج، وفرض على أهل المدينة ضرائب.كما عمل الأتراك على "حرمان الجزائريين من مناصب الإدارة والحكم.. وفرضوا ضرائب على السكان، ما تسبب في ثورات شعبية عديدة عليهم"، مثلما يتفق على هذا كثير من المؤرخين."احتلال من أول يوم"وتعليقا على طبيعة الوجود العثماني في الجزائر، قال الباحث الجزائري المتخصص في الفترة العثمانية، محمد بن مدور، إن "كل الدلائل تؤكّد على أن ذلك الوجود كان احتلالا".ويمضي بن مدور متحدثا عن تلك الفترة قائلا "صحيح أن الجزائريين هم الذين طلبوا النجدة منهم في بداية الأمر ضد الإسبان، لكن الغريب أنهم بمجرد ما وصلوا وطردوا الإسبان قتلوا سلطان الجزائر! فما الذي يعنيه هذا!؟".ويضيف بن مدور في تصريحه لـ"أصوات مغاربية" أن العثمانيين هدموا كثيرا من المساجد والزوايا "هل يُعقل أن يهدموا مساجد وزوايا ويبنوا أخرى ويسمُوا مسجدا بنوه باسم حيوان، فمسجد كتشاوة يعني المعزاة!، ثم إنهم واجهوا ثورات رفضت حكمهم للبلاد، لأنهم أهانوا السكان وفرضوا عليهم ضرائب".ة

لا وجود للتّتريك في الجزائر"على النقيض من الرأي السابق، يقول أستاذ التاريخ في" جامعة الجزائر، الدكتور مصطفى نويصر، إن العثمانيين كانوا يشرفون على الجزائر باعتبارها "تابعة لإمبراطورية الخلافة الإسلامية"."مصطلح الاستعمار ارتبط بالوجود العثماني في المشرق العربي، حين تحوّلت السياسة العثمانية من خلافة إسلامية إلى دولة قومية تعتمد سياسة التتريك، وحدث هذا بداية من سنة 1908 مع الثورة العربية على الأتراك"، يقول نويصر.ويستطرد المصدر ذاته "لكن بالنسبة للجزائر وتونس وليبيا، فلم يكن هناك شيء يسمى التتريك، بل إن بلداننا كانت قد سقطت وقتها في يد الاستعمار الغربي".وبرأي الدكتور نويصر فإن الجزائر "انضوت تحت لواء الخلافة الإسلامية بعد دعوة من الجزائريين أنفسهم، حين استنجدوا بالعثمانيين ضد الغزو الإسباني، ولم يفرض العثمانيون وجودهم هنا بالقو

مراحل الحكم العثماني في الجزائر

عصر الباي لاربايات 1514-1587م

وهو يمثل أزهى عصور الحكم العثمانيّ في الجزائر؛ حيث تطوّرت البلاد من النواحي الاقتصاديّة، والعمرانيّة والتعليميّة؛ وذلك نتيجة التعاون بين فئة (الرياس) في القيادة وشعب الجزائر، كما عزّز مهاجرو الأندلس من ازدهار البلاد، ويشار إلى عدد من الأمور التي حصلت في هذه المرحلة، وهي:[١] دام عهد الباي لاربايات لمدّة سبعين عاماً. كان قرار تعيين الحاكم في الجزائر يأتي من جهة السلطان العثمانيّ. وكانت السلطة في يد رياس البحر أو جنود البحرية. خلال هذا العصر تمّ تحرير برج فنار عام 1529م من الإسبان، وتحرير بجاية من الاحتلال الإسبانيّ عام 1555م، وكذلك تونس عام 1574م.إ

عصر الدايات 1671-1830م

حاول حكّام الجزائر في هذا العصر إرضاء السلطان العثمانيّ وتقوية مركز الحاكم (الداي) عن طريق تعيينه في منصبه مدى الحياة، وقد أصبحت الجزائر دولة مستقلّة عن تركيا، وأصبح جنود البحرية يبحثون عن الغنائم لأنفسهم وللحكّام بدلاً من مهمّة المناهضة للإسلام، وقد اهتم حكّام الجزائر في القرن السابع عشر والثامن عشر بجمع الثروة من العمليات الحربية في البحر، وأهملوا تطوّر الدخل المتمثّل في الثروة الفلاحية وتوفير الغذاء للسكان، وتمّ اغتيال العديد من الحكّام نتيجة الحروب والصراعات الداخليّة بين فئات الجيش، وتمكّن حكّام الجزائر من القضاء على الوجود الإسبانيّ في الجزائر.

عصر الآغوات 1659-1671م

ويعدّ هذا العصر من أقصر العصور؛ وذلك لقيام قادة الجيش البرّي (اليولياش) بخلع الباشا واستبداله بقائد من فئتهم أُطلق عليه اسم (الآغا)، وكان الانقلاب على الباشاوات عبارة عن انتقام من فئة الرياس التي كانت في أوج عزّها في عصر الباشاوات، وفي هذا العصر ضَعُفَ نفوذ السلطان العثمانيّ، وغابت السيادة العثمانيّة في الجزائر، وازدادت الصراعات المحليّة بين ضباط الجيش البريّ وكذلك بين ضباط الجيش البحريّ، واستاء الشعب من الفساد السياسيّ والفوضى التي سادت البلاد، وقام (اليولياش) في قلب نظام الحكم والانفصال عن العثمانيين والحدّ من سلطة الرياس، إلّا أنّهم لم يتمكّنوا من إقامة نظام سياسي ديمقراطي.إ

عصر الدايات 1671-1830م

حاول حكّام الجزائر في هذا العصر إرضاء السلطان العثمانيّ وتقوية مركز الحاكم (الداي) عن طريق تعيينه في منصبه مدى الحياة، وقد أصبحت الجزائر دولة مستقلّة عن تركيا، وأصبح جنود البحرية يبحثون عن الغنائم لأنفسهم وللحكّام بدلاً من مهمّة المناهضة للإسلام، وقد اهتم حكّام الجزائر في القرن السابع عشر والثامن عشر بجمع الثروة من العمليات الحربية في البحر، وأهملوا تطوّر الدخل المتمثّل في الثروة الفلاحية وتوفير الغذاء للسكان، وتمّ اغتيال العديد من الحكّام نتيجة الحروب والصراعات الداخليّة بين فئات الجيش، وتمكّن حكّام الجزائر من القضاء على الوجود الإسبانيّ في الجزائر.

الحياة الثقافية

اتّسم العهد العثماني في الجزائر بسياسة واضحة المعالم، إذ لم تفرض لغة أو لهجة واحدة، وإنّما أبقوا على الاختلاف اللغويّ بعامياتها البربرية والعربية، وقسّموا مناطق النفوذ بين العربية والتركية؛ بحيث كانت العربية لغة الدين والتعليم، واللغة التركية لغة الإدارة في غالبية الأحيان وكان للّغة العربية تأثيراً بارزاً على اللغة التركية؛ فقد استعارت الأخيرة من العربية العديد من الألفاظ والعبارات، وكَثُرَت المخطوطات العربية.

ميزّات الحكم العثماني في الجزائر

اتّسم الحكم العثماني في الجزائر بظاهرة الخضوع للسلطان، كما امتاز بعدم الاستقرار الإداريّ، وكان هناك نوع من التفاهم بين السلطان والحاكم في الجزائر.[٣] وقد تميزّ الجندي العثماني بالانضباط، والشجاعة والتواضع، كما امتاز بالتهور والخشونة، وكان بمثابة العمود الفقريّ لنظام الحكم القائم آنذاك في البلاد، وسمّى أهل الجزائر الجند بكباش أناضوليا؛ لأنّهم كانوا حمراً سماناً، واسمهم الرسميّ يُعرف باليولداش.